اليمن وسكانها

تابع

خيرات اليمن

اجمع جغرافيو العرب ان اليمن الخضراء [illegible] الاقطار واكثرها ثماراً وخيرات حتى قال الفرس ان اهاليها يزرعون اربع مرات في السنة ويحصدون كل زرع في ستين يوماً . وقال بعضهم :

اليمن كلها مشتون [illegible] وصنعاء [illegible] يشتون [illegible] . ويصيفون [illegible] واهل اليمن يمطرون الصيف كله ويصحون في الشتاء فيمطر صنعاء وما والاها حزيران وتموز وآب وبعض ايلول من الزوال الى الغروب ويلقى الرجل الآخر فيقول له عجل قبل الغيث لانه لا بد من المطر في هذه الايام

قال ابن الفقيه ولليمن من انواع الخصب وغرائب الثمر وطرائف الشجر ما يستصغر ما ينبت في بلاد الاكاسرة والقياصرة وقد تفاخرت الروم وفارس بالبنيان وتنافست فيه فعجزوا عن مثل غمدان ومأرب وحضرموت وقصر [illegible] وصرواح ومرواح وبينون [illegible] وهنيدة وظفار وريدة

قال الاصمعي اربعة اشياء قد ملأت الدنيا لا تكون الا باليمن الورس والكندر والخطر والعصب [illegible] من الحرم فانه [illegible] البادية [illegible] من الله [illegible] على [illegible] قبل ان يصل الى الارض [illegible] وهو شيء [illegible] في السحر [illegible] الله من [illegible] . قال الاصمعي وكانت جمال عمان تحمل الورس من اليمن الى [illegible]

وذكروا من خصائص تهامة ادم زبيد [illegible] الذي لا نظير له [illegible] من الذهب [illegible] والعرب [illegible] صعدة [illegible] صنعاء [illegible] عدن [illegible] ومن اراد [illegible] اشترى قطعة ارض [illegible] صنعاء وحفر فربما خرج [illegible] صخرة [illegible]

وربما لم يخرج شيء منه . والعنبر يقع على حافة البحر من عدن الى عمان .

قال المقدسي اليمن معدن العصائب والعقيق والادم والرقيق فالى عمان يخرج آلات الصيادلة والعطر كله حتى المسك والزعفران والبقم والساج والساسم والعاج واللؤلؤ والديباج والجزع واليواقيت والأبنوس والنارجيل والقند والاسكندروس (لعله السندروس) والصبر والحديد والرصاص والخيزران والغضار والصندل والبلور والفلفل وغير ذلك وتزيد عدن بالعنبر والشروب والدرق والحبش والخدم وجلود النمور

مذاهب اليمن

كان عند ظهور الاسلام في اليمن من الاديان النصرانية واليهودية والمجوسية على رواية البلاذري وقد كتب الرسول عليه الصلاة السلام الى ملوك حمير وهم الحارث ابن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال وشرح بن عبد كلال والى النعمان قيل ذي رعين ومعافر وهمدان . وكان المجوس في هجر واليمن . ودخل عامل اليمن في الدعوة الاسلامية قال ابن خلدون وهو باذان عامل كسرى واسلم معه اهل اليمن وأمره النبي صلى الله عليه وسلم على جميع مخاليفها وكان منزله صنعاء كرسي التبابعة ولما مات بعد حجة الوداع قسم النبي اليمن على عمال من قبله وجعل صنعاء لابنه شهر بن باذان وقام الاسود العنسي فاخرج عمال النبي من اليمن وزحف على صنعاء واستولى على اكثر اليمن وارتد اكثر اهله ثم رجع عمال المسلمين الى اعمالهم وقاتل ابو بكر الصديق المرتدين من اهل اليمن وولي اليمن عمال بني أمية ثم عمال بني العباس لاول امرهم ثم تعاقب الولاة على اليمن وكانوا ينزلون صنعاء حتى انتهت الخلافة الى المأمون وظهرت دعاة الطالبيين بالنواحي وظهر باليمن ابراهيم بن موسى الكاظم سنة مائتين ولم يتم امره وكان يعرف بالجزار لسفكه الدم وبعث المأمون عساكره الى اليمن فدوخوا جبه وحملوا كثيراً من وجوه الناس فاستقام امر اليمن وولى محمد زياد على اليمن ضامناً له حياطتهم من العلويين فقدمها سنة ثلاث ومائتين وفتح تهامة اليمن وهي البلدة التي على ساحل البحر الغربي واختط بها مدينة زبيد ونزلها واصارها كرسياً لتلك المملكة وولى على الجبال مولاه جعفراً وفتح تهامة بعد حروب واشترط على عرب تهامة ان لا يركبوا الخيل واستولى على اليمن اجمع ودخلت في طاعته اعمال حضرموت والشحر وديار كندة وصار في مرتبة التبابعة

وكان في صنعاء قاعدة اليمن بنو جعفر من حمير بقية الملوك التبابعة استبدوا بها مقيمين بالدعوة العباسية ولهم مع صنعاء سحان ونجران وجرش وطالع عاملها ابا الجيش اسحق

ابن ابراهيم. فقتل المتوكل وعظم استبداد الموالي على الخلفاء مع ارتفاع [illegible] وركب بقطيعة شأن سلاطين العجم المستبدين وفي أيامه خرج باليمن يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي بن ابراهيم بن طباطبا داعية الزيدية بجهات صعدة وكان جده القاسم قد فر الى السند بعد خروج أخيه محمد مع أبي السرايا ثم لحق القاسم بالسند فطلب بها الحسين ثم ابنه يحيى باليمن سنة ثمان وثمانين ومائتين ونزل صعدة واظهر دعوة الزيدية وزحف الى صنعاء فملكها من يد اسعد بن يعفر ثم استرجعها منه بنو يعفر ورجع الى صعدة وكان شيعته يسمونه الامام.

وفي أيام أبي الجيش بن زياد ظهرت دعوة العبيديين (الفاطميين) باليمن دعا بها محمد بن الفضل بعدن لاعة وجبال اليمن الى جبال المذيخرة سنة اربع وثلاثمائة وبقي له ما بين الشرجة الى عدن عشرون مرحلة ومن غلافقة الى صنعاء خمس مراحل وهلك ابو الجيش سنة احدى وسبعين وثلاثمائة بعد ان امتد سلطانه وعظم ملكه قال ابن سعيد رأيت مبلغ جبايته وهو الف الف مكررة مرتين وثلاثمائة الف وستة وستون الفاً من الدنانير العثرية ماعدا ضرائبه على مراكب السند وعلى العنبر الواصل باب المندب وعدن أبين وعلى مغاص اللؤلؤ وعلى جزيرة دهلك ومن عبيدها وصائف وكانت ملوك الحبشة من وراء البحر يهادونه ويخطبون مواصلته. وانقرضت دولة بني زياد سنة سبع واربعمائة

ثم ملك نجاح وقيس من موالي مرجان مولى الحسين بن سلامة وتغلب نجاح بعد ان قتل قيساً في خمسة آلاف من عسكره وضرب السكة باسمه وكاتب ديوان الخلافة ببغداد فعقد له على اليمن ولم يزل مالكاً تهامة وأعمالها دون القلاع لأهل الجبال والقلاع والجبال كلها من موالي الحسين بن سلامة ولم يزل الملك في عقبه الى ان قتله الصليحي القائم بدعوة العبيديين سنة اثنين وخمسين واربعمائة فقام بالامر بعده بزبيد مولاه كهلان

اما الصليحي فكان مبدأ أمره مثل السيد احمد بن ادريس الذي كان في [illegible] عسير في السنة الماضية عرف بالصلاح فالتف الناس حوله واظهر الدعوة الشيعية واستولى اولاً على حصن بذروة جبل حراز وحصن ذلك الحصن ثم ملك اليمن كله ونزل صنعاء واختط بها القصور واسكن عنده ملوك اليمن الذين غلبهم وعين من طرفه ملوكاً على زبيد وتهامة ولم يزل الامر كذلك حتى استولى موالي [illegible] كانت في بني الناصر في

ثم وحصونه ثم باع حصن ذي جبلة من الداعي الزريعي صاحب عدن بمائة الف دينار ولم يزل يبيع معاقله حصناً حصناً حتى لم يبق له غير معقل تعز اخذه منه علي بن مهدي وفي ملوك زبيد يخطبون للعباسيين والصليحيون يخطبون للعبيديين الى اواخر المئة الخامسة والسادسة وفيها انقرض امر آل نجاح سنة ٥٥٤ وخلفهم غيرهم وبقي امر اليمن في تقلقل واضطراب لرجل وقيامة لآخر وعدن لغيرهم حتى جاء عبد النبي ابن مهدي الخارجي من زبيد واستولى على اليمن اجمع وهو يومئذ خمس وعشرون دولة فاستولى على جميعها ولم يبق له سوى عدن ففرض عليها الجزية ولما دخل شمس الدولة تورانشاه بن ايوب اخو صلاح الدين سنة ٥٦٩ واستولى على الدولة التي كانت باليمن ونزل زبيد واتخذها كرسياً للملك ثم استوخمها وسار في الجبال ومعه الاطباء يتخير مكاناً صحيح الهواء يتخذه سكناه فوقع اختيارهم على مكان تعز فاختط به المدينة كما اختط الصليحي سنة ٤٥٨ حصن ذي جبلة وبقيت كرسياً لملكه وبنيه ومواليهم بني رسول

وذكر ابن سعيد ان اليمن تشتمل على سبعة كراسي لملك تهامة والجبال وفي تهامة مملكتان مملكة زبيد ومملكة عدن ومعنى تهامة ما انخفض من بلاد اليمن مع ساحل البحر من السرين من جهة الحجاز الى آخر اعمال عدن دورة البحر الهندي وهي اخصب من الجبال واكثر اهلها القحطانية وفيها من عرب وائل ودامت دولة بني رسول باليمن في رواية ابن اياس نحواً من مائتين وثلاثين سنة وكان سبب تسمية جدهم رسول ان الخلفاء كانت تبعثه رسولاً الى البلاد الشامية وغيرها من البلاد فسمي رسولاً وما زال يترقى حتى ملك بلاد اليمن .

ذكر المقدسي ان المذاهب المستعملة اليوم في الاسلام التي لها خاص وعام ودعاة وجمع ثمانية وعشرون مذهباً اربعة في الفقه واربعة في الكلام واربعة في الحكم فيهما واربعة مندرسة واربعة في الحديث واربعة تغلب عليها اربعة واربعة رستاقية فاما الفقهيات فالحنفية والمالكية والشافعية والداودية واما الكلاميات فالمعتزلة والنجارية والكلابية والسالمية واما الذين لهم فقه وكلام فالشيعة والخوارج والكرامية والباطنية واما اصحاب الحديث فالحنبلية والراهوية والاوزاعية والمنذرية واما المندرسة فالعطائية والثورية والاباضية والطاقية واما التي في الرساتيق فالزعفرانية والخرمدينية والابيضية والسرخسية واما التي تغلب عليها اربعة من شكلها فالاشعرية على الكلابية والباطنية

على المرجئة والمعتزلة إلى القدرية والشيعة على الزيدية والجهمية إلى الظاهرية

فأما جملة المذاهب المستعملة اليوم في عهد المؤلف فإنها تتشعب إلى فرق لا تحصى ولكنا نذكر الألقاب والأسماء المشهورة ولا نزيد على ما لا بد يعرفه ذلك العلماء. وهي أربعة ممدوحة وأربعة مذمومة وأربعة مختلف فيها وأربعة تلقب بها أهل الحديث وأربعة معناهن واحد وأربعة يجمعهن الفقهاء بالجملة فالروافض والجبرة والمرجئة والشكاك وأما الممدوحة فأهل السنة والجماعة وأهل العدل والتوحيد والمؤمنون وأصحاب الهدى وأما المذمومة فالكلابية يلقبون الجبر والحنبلية يلقبون النصب ومنكرو الصفات يلقبون التشبيه ومثبتوها يلقبون التعطيل وأما المختلف فيها فعند الكرامية الجبر حمل الاستطاعة مع الفعل وعند المعتزلة حمل الشر على الله تعالى وأن أفعال العباد مخلوقة لله والمرجئة عند أهل الحديث من أخر العمل عن الإيمان وعند الكرامية من لم يفرض الأعمال وعند المعتزلة من وقف في الإيمان وعند أصحاب الكلام من وقف في أصحاب الكبائر ولم يجعل منزلة بين منزلتين والشكاك عند أصحاب الكلام من وقف في القرآن وعند الكرامية من استثنى في الإيمان والروافض عند الشيعة من أخر خلافة علي وعند غيرهم من نفى خلافة العمرين والأربعة معناهن واحد الزعفرانية والواقفية والشكاك والرستاقية والأربعة تلقب بها أهل الحديث الحشوية والشكاك والنواصب والمجبرة وأما التي يعبرون كل حزب وأهل الحديث من الشفعوية والثورية والحنفية والظاهرية من الجهمية والقدرية من المعتزلة.

قال واعلم أن أصل مذاهب المسلمين كلها منشعبة من أربع الشيعة والخوارج والمرجئة والمعتزلة وأصل افتراقهم قتل عثمان ثم تشعبوا ولا يزالون مفترقين وأما السواد الأعظم الآن أربعة مذاهب أصحاب أبي حنيفة بالمشرق وأصحاب مالك بالمغرب وأصحاب الشافعي بالشاش وعراق نيسابور وأصحاب الحديث بالشام والرحاب وبقية الأقاليم ممتزجون

وقال أيضاً أن اليمن قليل الفقهاء والمذكرين والقراء كما هو قليل النخيل والمياه الغزيرة والصيحات واليهود به أكثر من النصارى ولا ذمة لهم وسواد صنعاء ونواحيها سواد عمان شراة غالية وبقية البطائح وأهل الرأي عمان وهجر وصعدة شيعة وشيعة عمان وصعدة وأهل السروات وسواحل الحرمين معتزلة الأعمال والغالب على صنعاء وصعدة أصحاب أبي حنيفة والجوامع بأيديهم والعمل بمذهب ابن المنذر في نواحي نجد اليمن

مذهب سفيان والاذان بتهامة ومكة يرجع واذا تقدرت العمل على مذهب مالك و يكبر بزبيد في العيدين على قول ابن مسعود احدثه القاضي ابو عبد الله الصعواني وقت كونه ثم والعمل بهجر على مذهب القرامطة وبعمان داودية لهم مجلس .

و يؤخذ مما ذكره الهمداني ان اهل عدن فيها يقال لم يدخل عليهم من الروم احد ولكن اهلها الرمانية ثم فنوا وسكنها مهرة وقوم من الشراة وظهرت فيها دعوة الاسلام ثم كثر بها الشراة فعدوا على من بها من المسلمين فقتلوهم غير عشرة انفس

الزيدية

والزيدية هم اتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي عليه السلام ساقوا الامامة في اولاد فاطمة عليها السلام ولم يجوزوا ثبوت امامة في غيرهم الا انهم جوزوا ان يكون كل فاطمي عالم زاهد شجاع سخي خرج بالامامة ان يكون اماماً واجب الطاعة سواء كان من اولاد الحسن او من اولاد الحسين وعن هذا قالت طائفة منهم بامامة محمد وابراهيم الامامين ابني عبد الله بن الحسن بن الحسن اللذين خرجا في ايام المنصور وقتلا على ذلك وجوزوا خروج امامين في قطرين يستجمعان هذه الخصال ويكون كل واحد منهما واجب الطاعة واقتبس زيد بن علي مذهب الاعتزال فصار اصحابه كلهم معتزلة وكان من مذهبه جواز امامة المفضول مع قيام الافضل فقال كان علي بن ابي طالب افضل الصحابة الا ان الخلافة فوضت الى ابي بكر لمصلحة رأوها وقاعدة دينية راعوها من تسكين ثائرة الفتنة وتطييب قلوب العامة فان عهد الحروب التي جرت في ايام النبوة كان قريباً وسيف امير المؤمنين علي عليه السلام عن دماء المشركين من قريش لم يجف بعد والضغائن في صدور القوم من طلب الثار كما هي فما كانت القلوب تميل اليه كل الميل ولا تنقاد له الرقاب كل الانقياد وكانت المصلحة ان يكون القيام بهذا الشأن من عرفوه باللين والتودد والتقدم بالسن والسبق في الاسلام والقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ترى انه لما اراد في مرضه الذي مات فيه تقليد الامر عمر ابن الخطاب رضي الله عنه زعق الناس وقالوا لقد وليت علينا فظاً غليظاً فما كانوا يرضون بامير المؤمنين عمر لشدة وصلابة وغلظ له في الدين وفظاظة على الاعداء حتى سكنهم ابو بكر رضي الله عنه وكذلك يجوز ان يكون المفضول اماماً والافضل قائماً فيرجع اليه في الاحكام ويحكم بحكمه في القضايا

ولما قتل زيد بن علي وصلب قام بالامامة بعده يحيى بن زيد ومضى الى خراسان

واجتمعت عليه جماعة كثيرة وخرج محمد وابراهيم بالمدينة والبصرة واجتمع عليهما الناس فقتلا ثم رأوا انه لايجوز خروج واحد من اهل البيت حتى يأذن الله تعالى بزوال ملك بني أمية الذين يتطاولون على الناس حتى لو طاولتهم الجبال لطالوا عليها وهم يستشعرون بغض اهل البيت فقتل زيد بن علي بكناسة الكوفة قتله هشام بن عبد الملك ويحيى بن زيد قتل بجوزجان خراسان قتله اميرها ومحمد الامام قتله بالمدينة عيسى بن ماهان وابراهيم الامام قتل بالبصرة امر بقتلهما المنصور

ولم ينتظم امر الزيدية بعد ذلك حتى ظهر بخراسان ناصر الاطروش فطلب مكانه ليقتل فاختفى واعتزل الى بلاد الديلم والجبل لم يتحلوا بدين الاسلام بعد فدعا الناس دعوة الى الاسلام على مذهب زيد بن علي فدانوا بذلك ونشأوا عليه وبقيت الزيدية في تلك البلاد ظاهرين وكان يخرج واحد بعد واحد من الائمة ويلي امرهم وخالفوا بني اعمامهم من الموسوية في مسائل الاصول ومالت اكثر الزيدية بعد ذلك عن القول بامامة المفضول وطعنت في الصحابة طعن الامامية وهم اصناف ثلاثة جارودية وسليمانية وبترية والصالحية منهم والبترية على مذهب واحد .

وقال صاحب الفرق بين الفرق ان الزيدية ثلاث فرق وهي الجارودية والسليمانية وقد يقال الجريرية ايضاً والبترية وهذه الفرق الثلاث يجمعها القول بامامة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب في ايام خروجه وكان ذلك في زمان هشام بن عبد الملك وينسب الجارودية اولا الى اتباع المعروف بابي الجارود وقد زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على امامة علي بالوصف دون الاسم وزعموا أيضاً ان الصحابة كفروا بتركهم بيعة علي وقالوا ايضاً ان الحسن بن علي كان هو الامام بعد علي ثم أخوه الحسين كان اماماً بعد الحسن وافترقت الجارودية في هذا الترتيب فرقتين فرقة قالت ان علياً نص على امامة ابنه الحسن ثم نص الحسن على امامة أخيه الحسين بعده ثم صارت الامامة بعد الحسن والحسين شورى في ولدي الحسن والحسين فمن خرج منهم شاهراً سيفه داعياً الى دينه وكان عالماً ورعاً فهو الامام وزعمت الفرقة الثانية منهم ان النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي نص على امامة الحسن بعد علي وامامة الحسين بعد الحسن ثم افترقت الجارودية بعد هذا في الامام المنتظر فرقاً منهم من لم يعين واحداً بالانتظار وقال كل من شهر سيفه ودعا الى دينه من ولد الحسن والحسين فهو الامام ومنهم من ينتظر محمد بن عبدالله بن الحسن بن علي بن ابي طالب ولا يصدق بقتله ولا بموته ويزعم انه هو المهدي

المنتظر الذي يخرج فيملك الارض وقول هؤلاء فيه كقول المحمدية من الامامية في انتظارها محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي ومنهم من ينتظر محمد بن عمر الذي خرج بالكوفة ولا يصدق بقتله ولا بموته فهذا قول الجارودية وتكفيرهم واجب لتكفيرهم اصحاب رسول الله عليه السلام .

ذكر السليمانية او الجريرية منهم هؤلاء اتباع سليمان بن جرير الزيدي الذي قال ان الامامة شورى وانها تنعقد بعقد رجلين من خيار الامة واجاز امامة المفضول واثبت امامة أبي بكر وعمر وزعم ان الامة تركت الاصلح في البيعة لهما لان عليا كان أولى بالامامة منهما الا ان الخطأ في بيعتهما لم يوجب كفراً ولا فسقاً وكفر سليمان بن جرير عثمان بالاحداث التي نقمها الناقمون منه واهل السنة يكفرون سليمان بن جرير من أجل ان كفر عثمان رضي الله عنه.

وذكر البترية منهم فقال هؤلاء اتباع رجلين احدهما الحسن بن صالح بن حي والآخر كثير النوا الملقب بالابتر وقولهم كقول سليمان بن جرير في هذا الباب غير أنهم توقفوا في عثمان ولم يقدموا على ذمه ولا على مدحه وهؤلاء أحسن حالاً عند اهل السنة من أصحاب سليمان بن جرير وقد أخرج مسلم بن الحجاج حديث الحسن بن صالح ابن حي في مسنده الصحيح ولم يخرج محمد بن اسماعيل البخاري حديثه في الصحيح ولكنه قال في كتاب التاريخ الكبير الحسن بن صالح بن حي الكوفي سمع سماك ابن حرب ومات سنة سبع وستين ومائة وهو من ثور همذان وكنيته ابو عبد الله

قال عبد القاهر : هؤلاء البترية والسليمانية من الزيدية كلهم يكفرون الجارودية من الزيدية لاقرار الجارودية على تكفير ابي بكر وعمر والجارودية يكفرون السليمانية والبترية لتركهما تكفير ابي بكر وعمر وحكى شيخنا ابو الحسن الاشعري في مقالته عن قوم الزيدية يقال لهم اليعقوبية اتباع رجل اسمه يعقوب انهم كانوا يتولون ابابكر وعمر ولكنهم لا يتبرؤن ممن تبرأ منهم

قال عبد القاهر اجتمعت الفرق الثلاث الذين ذكرناهم من الزيدية على القول بان اصحاب الكبائر من الامة يكونون مخلدين في النار فهم من هذا الوجه كالخوارج الذين ايأسوا أسراء المذنبين من رحمة الله تعالى ولا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون .

انما قيل لهذه الفرق الثلاث واتباعها زيدية لقولهم بامامة زيد بن علي بن الحسن

ابن علي بن ابي طالب في وقته وامامة ابنه يحيى بن زيد بعد زيد . وكان زيد بن علي قد بايعه من اصحابه خمسة عشر الف رجل من اهل الكوفة وخرج بهم على والي العراق وهو يوسف بن عمر الثقفي عامل هشام بن عبد الملك على العراقين فلما استحر القتال بين زيد ويوسف بن عمر الثقفي قالوا له انا ننصرك على اعدائك بعد ان تخبرنا برأيك في ابي بكر وعمر اللذين ظلما جدك علي بن ابي طالب فقال زيد اني لا اقول فيهما الا خيراً وما سمعت ابي يقول فيهما الا خيراً وانما خرجت على بني أمية الذين قتلوا جدي الحسين وأغاروا على المدينة يوم الحرة ثم رموا بيت الله بحجر المنجنيق والنار ففارقوه عند ذلك حتى قال لهم رفضتموني ومن يومئذ سموا رافضة وثبت معه نصر بن خزيمة العبسي ومعاوية بن اسحاق بن زيد بن حارثة في مقدار مائتي رجل وقاتلوا جند يوسف بن عمر الثقفي حتى قتلوا عن آخرهم وقتل زيد ثم نبش قبره وصلب ثم أحرق بعد ذلك وهرب ابنه يحيى ابن زيد الى خراسان وخرج بناحية الجوزجان على نصر بن سيار والي خراسان فبعث نصر ابن سيار اليه سلم بن احوز المازني في ثلاثة آلاف رجل فقتلوا يحيى بن زيد ومشهده بجوزجان معروف .

هذا منشأ مذهب الزيدية باليمن وغيرها قال ابن فضل الله : امام الزيدية باليمن وهو من بقايا الحسنيين القائمين بآمل الشط من بلاد طبرستان وقد كان منهم جاذب الدولة العباسية حتى كاد يأخذ بردائها وتحدثت به القدماء . ومقر البقية الآن بصنعاء وبلاد حضرموت وما والاها من بلاد اليمن وامراء مكة تسر طاعته ولا تفارق جماعته والامامة الآن فيهم في بني المطهر واسم الامام القائم في وقتنا حمزة ويكون بينه وبين الملك الرسولي باليمن مهادنات ومفاسخات تارة وتارة وهذا الامام وكل من كان قبله على طريقة متقاربة وهي امارة عربية لا كبر في صدورها ولا شمم في عرانينها وهم على سنة من التقوى وترد بشعار الزهد يجلس في ندي قومه كواحد منهم ويتحدث فيهم ويحكم بينهم سواء عنده المشروف والشريف والقوي والضعيف وربما اشترى سلعته بيده ومشى في أسواق بلده لا يكاد يحتجب ولا يكل الامور الى الوزراء والحجاب يأخذ من بيت المال قدر بلغته من غير توسع ولا تكثر في ملبسه هكذا هو وكل من سلف قبله مع عدل شامل وفضل كامل اه .

ثم حارب القوم الدولة العباسية كما قال العمري حتى كادوا يأخذون بردائها وكذلك فعلوا من بعد الى عهدنا هذا وذلك ناشئ ولا جرم عن جودة هواء الجبال لان

الشدة تغرس في العادة في نفوس الجبليين وما سكان الجبال من اليمانيين الا أشبه بالافريديين في حدود الهند وافغانستان وانما اوى الزيدية الى الجبال كما اوى معظم اصحاب الدعوات اليها فهكذا فعل الاسماعيلية والنصيرية فأووا الى جبل السماق والدروز الى جبل الشوف والجبل الاعلى وجبال صعد وجبال حوران والشيعة المتاولة الى جبل عامل وجبال بعلبك ولبنان من ارض الشام

قال بعضهم صعدة مملكتها تلو مملكة صنعاء وهي في شرقيها وفي هذه المملكة ثلاث قواعد صعدة وجبل قطابة وحصن تلا وحصون اخرى وتعرف كلها ببني الرس واما حصن تلا ففيه كان ظهور الموطي وهو الذي اعاد امامة الزيدية لبني الرضا بعد ان استولى عليها بنو سليمان فاوى الى جبل قطابة ثم بايعوا لاحمد الموطي، سنة خمس واربعين وستمائة

وقال ابن فضل الله ايضاً في الزيدية : واما الزيدية فهم اقرب القوم الى القصد الأمم وقولهم ان ابابكر وعمر رضي الله عنهما ائمة عدل وان ولايتهما كانت لما اقتضته المصلحة مع ان عليا رضي الله عنه افضل منهما و يرون جواز ولاية المفضول على الفاضل في بعض الأحيان لما تقتضيه المصلحة او خوف الفتنة ولهذه الطائفة امام باق الى الآن باليمن وصنعاء داره وامراء مكة المعظمة منهم وحدثني الشريف مبارك بن الامير عطيفة بن ابي نمي انهم لا يدينون الا بطاعة ذلك الامام ولا يرون الا انهم نوابه وانما يتوقون صاحب مصر لخوفهم منه والاقطاع (١) وصاحب اليمن لمداراته لواصل المكارم ورسوم وكانت لهؤلاء دولة قديمة بطبرستان زالت الا هذه البقية .

وقال ابن خلدون واما الزيدية فساقوا الامامة على مذهبهم فيها وانها باختيار اهل الحل والعقد لا بالنص فقالوا بامامة علي ثم ابنه الحسن ثم اخيه الحسين ثم ابنه علي زين العابدين ثم ابنه زيد بن علي وهو صاحب هذا المذهب وخرج بالكوفة داعياً الى الامامة فقتل وصلب بالكناسة وقال الزيدية بامامة ابنه يحيى من بعده فمضى الى خراسان وقتل بالجوزجان بعد ان اوصى الى محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن السبط ويقال له النفس الزكية فخرج بالحجاز وتلقب بالمهدي وجاءته عساكر المنصور فقتل وعهد الى اخيه ابراهيم فقام بالبصرة ومعه عيسى بن زيد بن علي فوجه اليهم المنصور عساكره فهزم وقتل ابراهيم وعيسى وكان جعفر الصادق اخبرهم بذلك كله وهي معدودة في كراماته وذهب آخرون منهم الى ان الامام بعد محمد بن عبدالله النفس الزكية هو محمد بن القاسم بن علي بن عمر وعمر هو اخو زيد بن علي فخرج محمد بن القاسم بالطالقان فقبض عليه وسيق

الى المنصور فحبسه ومات في حبسه وقال آخرون من الزيدية ان الامام بعد يحيى بن زيد هو اخوه عيسى الذي حضر مع ابراهيم بن عبد الله في قتاله مع المنصور ونقلوا الامامة في عقبه واليه انتسب دعي الزنج وقال آخرون من الزيدية ان الامام بعد محمد ابن عبد الله اخوه ادريس الذي فر الى المغرب ومات هنالك وقام بامره ابنه ادريس واختط مدينة فاس وكان من بعده عقبه ملوكاً بالمغرب الى ان انقرضوا وبقي امر الزيدية بعد ذلك غير منتظم وكان منهم الداعي الذي ملك طبرستان وهو الحسن بن زيد بن محمد بن اسماعيل بن الحسن بن زيد بن علي بن الحسين السبط واخوه محمد ابن زيد ثم قام بهذه الدعوة في الديلم الناصر الاطروش منهم واسلموا على يده وهو الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمر وعمر اخو زيد بن علي فكانت لبنيه بطبرستان دولة وتوصل الديلم من نسبهم الى الملك والاستبداد على الخلفاء ببغداد

وذكر ابن خلدون من جملة فرق الشيعة الزيدية القائلين بامامة زيد بن علي بن الحسين والامامة من اجتمع فيه العلم والزهد والشجاعة ظاهراً وهو من ولد فاطمة رضي الله عنها ويخرج لطلب الامامة ويزيد من زاد صباحة الوجه وان لا يكون [illegible] ويجوزون قيام امامين معاً بمكانين ومن رأى رأي زيد اطلق عليهم اسم الرافضة [illegible] وهؤلاء الثلاث طوائف من الشيعة الى الامامية والاسماعيلية والزيدية هم رؤوس فرقهم

قال ابن حزم اتفقت الامة كلها على وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بلا خلاف من احد منهم لقول الله تعالى ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ثم اختلفوا في كيفيته فذهب بعض اهل السنة من القدماء من الصحابة رضي الله عنهم فمن بعدهم الى ان الفرض من ذلك انما هو بالقلب فقط او باللسان ان قدر على ذلك ولا يكون باليد ولا بسل السيوف ووضع السلاح اصلاً وبه قالت الروافض كلهم ولو قتلوا كلهم الا انها لم تر ذلك ما لم يخرج الناطق فاذا خرج وجب سل السيوف حينئذ معه والا فلا واقتدى اهل السنة بعثمان وغيره من الصحابة ومن رأى القعود منهم الا ان جميع القائلين بهذه المقالة من اهل السنة انما رأوا ذلك ما لم يكن عدلاً فان كان عدلاً وقام عليه فاسق وجب عندهم بلا خلاف سل السيوف مع الامام العادل. وذهبت طوائف من اهل السنة وجميع الخوارج والزيدية الى ان سل السيوف في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب اذا لم يكن دفع المنكر الا بذلك قالوا فاذا كان اهل الحق في عصابة يمكنهم الدفع ولا ييأسون من الظفر ففرض عليهم ذلك

وبعد فان شيعة علي رضي الله تعالى عنه زيدي ورافضي وبقيتهم بدد لا نظام لهم قالت علماء الزيدية وجدنا الفضل في الفعل دون غيره ووجدنا الفعل كله في اربعة اقسام اولها القدم في الاسلام حين لا رغبة ولا رهبة الا من الله تعالى واليه ثم الزهد في الدنيا فان ازهد الناس في الناس ارغبهم في الآخرة وآمنهم على نفائس الاموال وعقائل النساء واراقة الدماء ثم الفقه الذي به يعرف الناس مصالح دنياهم ومراشد دينهم ثم المشي بالسيف كفاحاً في الذب عن الاسلام وتأسيس الدين وقتل عدوه واحياء وليه فليس فوق بذل المهجة واستغراق القوة غاية يطلبها طالب او يرتجيها راغب ولم نجد قولا خامسا فنذكره فلما رأينا هذه الخصال مجتمعة في رجل دون الناس كلهم وجب علينا تفضيله عليهم وتقديمه دونهم ، وذلك انا سألنا العلماء والفقهاء واصحاب الاخبار وحمال الآثار عن اول الناس اسلاما ؟ فقال فريق منهم علي وقال قوم زيد بن حارثة وقال قوم خباب ولم نجد قول كل واحد منهم من هذه الفرق قاطعا لعذر صاحبه ولا ناقلا له عن مذهبه وان كانت الرواية في تقديم علي اشهر واللفظ به اكثر وكذلك اذا سألناهم عن الذابين عن الاسلام والماشين الى الاقران بسيوفهم وجدناهم مختلفين فمن قائل يقول علي رضي الله تعالى عنه ومن قائل يقول ابن عفراء ومن قائل يقول محمد بن مسلمة ومن قائل يقول طلحة ومن قائل يقول البراء بن مالك على ان لعلي من قتل الاقران والفرسان ما ليس لهم فلا اقل من ان يكون علي في طبقتهم وان سألناهم عن الفقهاء والعلماء رأيناهم يعدون عليا ممن كان افقههم وعمر وعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت وأبي بن كعب على ان عليا كان افقههم لانه كان يُسأل ولا يسأل ويفتي ولا يستفتي ويحتاج اليه ولا يحتاج اليهم ولكن لا اقل من ان نجعله في طبقتهم وكاحدهم وان سألناهم عن اهل الزهادة واصحاب التقشف والمعروفين برفض الدنيا وخلعها والزهد فيها قالوا علي وابو الدرداء ومعاذ بن جبل وابو ذر وعمار وبلال وعثمان بن مظعون على ان عليا ازهدهم لانه شاركهم في خشونة الملبس وخشونة المأكل والرضا باليسير والتبلغ بالحقير وظلف النفس ومخالفة الشهوات وفارقهم بان ملك بيوت الاموال ورقاب العرب والعجم فكان ينضح بيت المال في كل جمعة ويصلي فيه ركعتين ورقع سراويله وقطع مافضل من ردائه عن اطراف اصابعه بالشفرة في امور كثيرة مع ان زهده افضل من زهدهم لانه اعلمهم وعبادة العالم ليست كعبادة غيره كما ان زلته ليست كزلة غيره فلا اقل من ان نعده في طبقتهم ولا نجدهم ذكروا لابي الدرداء وابي ذر وبلال مثل الذي

ذكروا له في باب الغناء والذب، وبذل النفس ولم نجدهم ذكروا للزبير وابن عفراء وابي دجانة والبراء بن مالك مثل الذي ذكروا له من التقدم في الاسلام والزهد والفقه ولم نجدهم ذكروا لأبي بكر وزيد وخباب مثل الذي ذكروا له من بذل النفس والغناء والذب بالسيف ولا ذكروهم في طبقة الفقهاء والزهاد فلما رأينا هذه الامور مجتمعة فيه متفرقة في غيره من اصحاب هذه المراتب وهذه الطبقات علمنا ان افضلهم وان كان كل رجل منهم قد اخذ من كل خير بنصيب فانه لم يبلغ ذلك مبلغ من قد اجتمع له جميع الخير وصنوفه . قال الجاحظ بعد كلام في هذا النحو وانما اقتصدت الى هذا الشعب دون مذهب سائر الزيدية في دلائلهم وحججهم لانه احسن شيء رأيته لهم وانما احكي لك من كل نحلة قول حذاقهم وذوي احلامهم لان فيه دلالة على غيره وغنى عما سواه

الخاتمة

ترى القارئ من هذا البحث كيف كانت اليمن وكيف كان سكانها وما هي مذاهبهم وما نال من الناس في كل موضع من الفتن سوى العظائم التي دكت العمران وابادت [illegible] السكان وعطلها وافنتهم منذ القرون الوسطى الى اليوم وقد اصابهم في عهد الدولة العلية ما اصاب معظم الولايات البعيدة عن دارها في الناصية ولانه لم يكن يقدر [illegible] الخدمة هناك من جيش الدولة وعمالها الا من جعل الاستثناء [illegible] طريقة كانت ولا هو [illegible]

قال الشيخ [illegible] : ولقد حكي عن بعض من امراء الروم يسمى [illegible] في صنعاء حين [illegible] اليمن [illegible] واكثر فساده [illegible] ضرب المثل بالفجائع وصار علماً في الظلم والفتك كأنه مولع بسفك الدم والقتل فيه بالشنع والصلب والخنق والكرابيج فيأمر في حاجته [illegible] ويتهلل الى الله في طلب الخروج من [illegible] فقتله في الروم اذ قيل له هؤلاء الجماعة الذين ارسلتهم [illegible] ان [illegible] من دون اعذارات ولا نظر ولا استثبات في شأنهم فقال له بعض الحاضرين في ذلك فقال [illegible] من قتل مسلم محرم وهؤلاء ربما يقتل دماؤهم الى ان قال وكنت اظن ان هذا شيء نادر في [illegible] الشؤم وجماعة قليلين وانه [illegible] فيه في [illegible] في دولة الاروام كأن هذا شيئاً يتبع الدولة وكأنها تحت الشريعة اهـ كما قال [illegible] لا يخلو من حقيقة [illegible] فقد أثر عن الولاة المتأخرين اعمال كهذه يتناقلها اليمنيون بينهم ويعدونها من الجرائم ولذلك فما رأينا [illegible] ثاب الى حكومة فعسى ان تعرف حكومتنا الحاضرة كيف تحل كل الكنف وتمكن [illegible] تلك الشرور المتقادمة قروناً في مملكة [illegible] وعبر